وفاة السيدة رقية بطلة الهجرتين

إعداد: رياض عواد

شهر رمضان المبارك هو شهر الفتوحات والأحداث الجسام في تاريخنا الإسلامي.. وهذه الحلقات نحاول خلالها إبراز أهم الأحداث التي وقعت في هذا الشهر الكريم تلك الأحداث كثيرة ومتنوعة، ما بين معارك إسلامية فاصلة وفتوحات وأحداث إسلامية مهمة تتعلق بمولد أو وفاة أعلام المسلمين، فنعيش خلال الحلقات القادمة مع بعض تلك الأحداث والفتوحات لنقتفي آثارها ونتلمس خطاها.

من بدر الى الحديبية

رقية بنت رسول الله صلى الله علي وسلم، أمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وُلـدَت رضي الله عنها وعمْر النَّبي صلى الله عليه وسلم ثلاث وثلاثون سنة، وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلمَ وعمره أربعون، فأسلمت رقية مع أمها خديجة رضي الله عنهما، وعلى هذا يكون عمرها عند إسلامها سبع سنوات، وكانت تُكَنَّى بأم عبد الله، وتُكَنَّى بذات الهجرتين، أي هجرة الحبشة وهجرة المدينة. قال ابن حجر في كتابه "الإصابة في تمييز الصحابة»: «رقيّة بنت سيد البشر صلى الله عليه وسلم: محمد بن عبد اللَّه بن عبد المطلب الهاشمية، هي زوج عثمان بن عفان، وأم ابنه عبد اللَّه». وقال ابن الأثير: «وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب، وكانت دون العاشرة، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة تبت قال لهما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب: فارقا ابنتَيْ محمد، ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى، وهوانًا لابْنَي أبي لهب». ثم تزوجت رقية رضي الله عنها بالتقي النقي عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة، وسعدت بزواجها منه، وهاجرت معه إلى الحبشة، وولدت له هناك ولداً فسماه: عبد الله وبه كان يُكنَّى».

إسلامها

قصة إسلام السيدة رقية وهجرتها إلى الحبشة: أسلمت حين أسلمت أمها خديجة بنت خويلد، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم هي وأخواتها حين بايعه النساء. وولدت السيدة رقية وعمر النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث وثلاثون، وبعث النبي وعمره أربعون، وأسلمت رقية مع أمها خديجة، فعلى هذا يكون عمرها عند إسلامها سبع سنوات. وكانت تكنى بأم عبد الله، وتكنى بذات الهجرتين، أي هجرة الحبشة وهجرة المدينة. ولما أراد عثمان بن عفان الخروج إلى أرض الحبشة، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اخرج برقية معك». قال: أخال واحد منكما يصبر على صاحبه، ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فقال: «ائتني بخبرهما». فرجعت أسماء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو بكر رضي الله عنه فقالت: يا رسول الله، أخرج حمارًا موكفًا فحملها عليه، وأخذ بها نحو البحر. فقال رسول الله : «يا أبا بكر، إنهما لأول من هاجر بعد لوط وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام».

زواجها

وقد تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه بمكة وهاجرا إلى أرض الحبشة، وولدت له هناك ابنا سماه عبد الله فكان يكنى به ومات وهو صغير، وقيل مات في جمادى الأولى سنة أربع وهو ابن ست سنين نقره ديك في عينه فتورم وجهه ومرض ومات وقد وردت في فضائلها طائفة من الأحاديث والآثار منها

1 – ما رواه الحاكم بإسناده إلى عروة في تسمية الذين خرجوا في المرة الأولى إلى الحبشة قبل خروج جعفر وأصحابه عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففي هذا منقبة ظاهرة لرقية وزوجها عثمان رضي الله عنهما إذ شرفوا بفضل الهجرة الأولى.

2 – ومن فضائلها أنها لما مرضت رضي الله عنها أمر النبي صلى الله عليه وسلم زوجها عثمان بن عفان أن يتخلف عن غزوة بدر لتمريضها.

فقد روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عمر قال: وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مريضة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه)

وفي ذلك منقبة عظيمة ومنزلة رفيعة لرقية رضي الله عنها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أنه أذن لعثمان في أن يتأخر عن غزوة بدر التي هي أول معركة فاصلة بين جيش الإيمان وجيش الكفر، لتمريضها رضي الله عنها وضرب له بسهمه في الغنيمة وأجره عند الله كمن حضر الغزوة، إكراماً لها وتعظيماً لشأنها رضي الله عنها.

وقد كانت وفاتها يوم بدر في السنة الثانية من الهجرة قال ابن عبد البر: (وأما وفاة رقية فالصحيح في ذلك أن عثمان تخلف عليها بأمر رسول الله، وهي مريضة في حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، وتوفيت يوم وقعة بدر ودفنت يوم جاء بن حارثة بشيراً بما فتح الله عليهم ببدر) .

خصال الخير

ما من خصلة من خصال الخير إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم أوفر الحظ والنصيب من التخلق بها، وقد صفه الله تعالى بلين الجانب لأصحابه فقال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: 159).

والمتأمل في السيرة النبوية تستوقفه مواقف كثيرة، يظهر فيها حب النبي صلى الله عليه وسلم لبناته ورحمته وشفقته بهن، وكذلك اهتمامه بأصحابه وحسن معاملته لهم، فكان يؤلفهم ولا ينفرهم، ويزورهم ويعودهم، ويشعر بآلامهم وآمالهم، ويتفقد أحوالهم ويراعي ظروفهم، ومواقفه صلى الله عليه وسلم في ذلك كثيرة، ومنها ما حدث في غزوة بدر من إعفائه لعثمان بن عفان وأبي أمامة رضي الله عنهما والذي يتطلب منهما القيام عليهما ورعايتهما، وفي ذلك صورة مضيئة من صور الرحمة والحكمة النبوية .

مرضها

إن موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع رقية رضي الله عنها في مرضها، وأمْره لعثمان بن عفان بالتخلف عن غزوة بدر والبقاء معها لرعايتها في مرضها، له موقف مشابه في غزوة بدر أيضاً، فقد أعْفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا أمامة بن ثعلبة رضي الله عنه من الخروج للجهاد والقتال معه، وأمره بالبقاء مع أمه لمرضها وكبَرها وحاجتها لمن يرعى شؤونَهَا. قال ابن عبد البر في كتابه "الاستيعاب في معرفة الأصحاب»: «أبو أمامة بن ثعلبة الحارثي الأنصاري، اسمه إياس بن ثعلبة، من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج. وقيل: اسمه ثعلبة، وقيل: سهل، ولا يصح فيه غير إياس بن ثعلبة. له عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث: أحدها: من اقتطع مال امرئ مسلم بيمينه. والثاني: البذاذة من الإيمان. والثالث أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على أمه بعد أن دُفنت. وهو ابن أخت أبي بردة بَن نيار، ولم يشهد بدراً، وكان قد أجمع على الخروج إليها مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت أمه مريضة، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمقام على أمه».

عن أبي أمامة بن ثعلبة رضي الله عنه: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرهم بالخروج إلى بدر وأجمع الخروج معه، فقال له خاله أبو بردة بن نيار: أقم على أمك، يا ابن أختي، فقال له أبو أمامة: بل أنت فأقم على أختك، فذكرا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأمر أبا أمامة بالمقام على أمه وخرج بأبي بردة، فقدم النبي صلى الله عليه وسلم وقد تُوُفِّيَتْ فصلى عليها) رواه الطبراني.

وفاتها

لم تطل الحياة برقية رضي الله عنها، فقد توفيت ولها من العمر اثنتان وعشرون سنة، ودُفنت في البقيع. قال ابن عبد البرَ: «وأما وفاة رقية فالصحيح في ذلك أن عثمان تخلف عليها بأمر رسول الله، وهي مريضة في حين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر، وتوفيت يوم وقعة بدر ودفنت يوم جاء ابن حارثة بشيراً بما فتح الله عليهم ببدر».

ففي السنة الثانية للهجرة النبوية -وقبل غزوة بدر- مرضت رقية رضي الله عنها، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم زوجها عثمان بن عفان أن يتخلف عن غزوة بدر -رغم أهمية هذه الغزوة والحاجة إليه فيها- وذلك لتمريض رقية ورعايتها، وضرب لعثمان بسهمه في الغنيمة وأجره عند الله كمن حضر الغزوة. فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: (إنما تغيَّب عثمان عن بدر، فإنه كانت تحته (زوجته) بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (رقية)، وكانت مريضة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه) رواه البخاري. وفي منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري: «(إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه أي: فأمره صلى الله عليه وسلم أن يبقى معها في المدينة ليقوم بتمريضها، وقال له: إن الله سيكتب لك أجر من شهد هذه الغزوة، وأسهم صلى الله عليه وسلم له بسهم من الغنيمة، ففاز بأجرها وغنيمتها».

وعن أبي أمامة بن سهل عن أبيه قال: (لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر بعث بشيرَيْن إلى أهل المدينة، بعث زيد بن حارثة رضي الله عنه إلى أهل السافلة، وبعث عبد الله بن رواحة رضي الله عنه إلى أهل العالية يبشرونهم بفتح الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم، فوافق زيد بن حارثة ابنه أسامة حين سُوِّيَ التُّرَابُ على رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) رواه الحاكم. ولما عاد النبي صلى الله عليه وسلم من الغزوة وعلم بموت ابنته رقية رضي الله عنها، خرج إلى بقيع الغرقد ووقف على قبرها يدعو لها بالرحمة والمغفرة

. توفيت ولها من العمر اثنتان وعشرون سنة، ودفنت في البقيع رحم الله رقية بطلة الهجرتين، وصلاة وسلامًا على والدها في العالمين، ورحم معها أمها وأخواتها وابنها وشهداء بدر الأبطال، وسلام عليها وعلى المجاهدين الذين بذلوا ما تسع لهم أنفسهم به من نصرة لدين الله ودفاع عن كلمة الحق والتوحيد إلى يوم الدين، والسعي إلى إعلاء كلمة الله.

البقاع قديما

مدافن الصحابة